الربع الثالث — سورة فصلت
سُورَةُ فُصِّلَتْ — ٤١
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

سورة فصلت

﴿فُصِّلَتْ .. بُيِّنَتْ﴾ بُيِّنت معانيه، ووضحت أحكامه أجمل توضيح ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نزل بلسان العرب ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تفاصيل آياته، ودلائل إعجازه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ مبشراً بالجنة لأهل الإيمان، ومنذراً بالعذاب لأهل الكفر والطغيان ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أعرض الطغاةُ المشركون عن تدبر آياته ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفكر وتدبر ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ في أغطية متكاثفة ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم يمنع من السماع وفهم الكلام ﴿حِجَابٌ﴾ وهناك حاجز يحول بيننا وبينك، وهذه كلها أمثلة على عدم قبول الكفار دعوة الإسلام، وعدم الإيمان برسالة خاتم المرسلين كأنهم يقولون: إن قلوبنا في أغطية متكاثفة، لا يصل إليها شيء مما تدعونا إليه، من التوحيد والإيمان، وفي آذاننا صممٌ فلا نسمع دعوتك، فافعل ما شئت فإننا مستمرون على عبادة الأوثان والأصنام ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لستُ إلا بشراً مثلكم ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أوحى الله إليَّ بالرسالة لأبلّغكم دعوة الله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أجر غير مقطوع، بل هو دائم مستمر ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ تجعلون له أمثالاً من الشركاء ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أرزاق البشر ومعاشهم ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ في تتمة أيام من حين خلق الأرض ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ استجيبا لأمر الله طائعين أو مكرهين، **قال الشوكاني**: ومعنى هذا الأمر لهما: التسخيرُ، أي قال لهما: كونا فكانتا، فالكلام من (باب التمثيل) لتأثير قدرته، واستحالة امتناعهما على إرادة الله.! ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ امتثلنا أمرك يا ربّ طائعين، خاضعين.

صد الحزب ٤٨

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أبدع وأتقن خلقهن سبع سموات، فتمَّ خلقُ السمواتِ والأرضِ في ستة أيام، ولو شاء لخلقهنَّ بلمح البصر ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بالكواكب المضيئة وهي السماء الأولى القريبة منكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ فإن أعرض المشركون، وامتنعوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ خوَّفتكم عذاباً شديداً ينصبُّ عليكم كالصاعقة ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ﴾ مثل العذاب الذي حلَّ بعاد وثمود ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ جاءوهم من جميع الجوانب يأمرونهم بالتوحيد ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لو شاء إرسال رسول لجعله من الملائكة لا من البشر ﴿كَٰفِرُونَ﴾ نحن كافرون بكم وبرسالتكم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أرسلنا على عاد ريحاً باردة، شديدة البرد، وشديدة الصوت ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ في أيام مشؤومة ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ العذاب المخزي المذل لهم ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الضلالة على الهدى، والكفر على الإيمان ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أخذهم العذاب الشامل المهلك، الموقع لهم في الذل والإهانة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أعداء الله في مكان ليتلاحقوا ويجتمعوا، ثم تسوقهم الملائكة إلى نار الجحيم.

تنبيه: نقف عند هذا التعبير المعجز ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَٰٓئِعِينَ﴾ فإن فيه من روعة الجمال، ما يفوق الخيال، وقد أشارت الآية إلى انقياد هذا الكون إلى خالقه، انقيادَ العبد لسيدِه، والجنديِّ لقائده، مثَّل لذلك بتمثيل بديع، يجعل من الجماد كائناً حياً، يُؤمر فيلبِّي الأمرَ، ويُكلَّف بشيء، فيسمع ويطيع، ويا له من تصوير بديع!!

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لماذا أقررتم علينا بما ارتكبناه من أعمال؟ ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ قالوا: أنطقنا الله بقدرته، ولم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا.. روى مسلم عن أنسٍ أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، ثم قال: «هل تدرون مِمَّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم!! قال: «من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا ربِّ: ألم تُجرني من الظلم؟ فيقول الله: بلى، فيقول العبد: إني لا أجيز على نفسي إلَّا شاهداً من نفسي، فيقول الله له: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، فيختمُ على فيه، ثم يُقال لجوارحه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام، فيقول لجوارحه: بُعْداً لكنَّ وسُحْقاً فعنكنَّ كنتُ أناضل»

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ تستخفون عند ارتكابكم الفواحش ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ لذلك ما كنتم تستخفون منها، وكنتم تستترون عن الناس مخافة الفضيحة ﴿ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ وهذا الظن القبيحُ بربكم، هو الذي أوقعكم في الهلاك والدمار ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ فإن يصبروا على العذاب، فنار جهنم منزلهم ومحلُّ إقامتهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ وإن يطلبوا إرضاء ربهم، فما هم من المرضيِّ عنهم، يقال في اللغة: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ هيأنا للكفار أصدقاء سوء ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ حسَّنوا لهم أعمالهم القبيحة ﴿لَا تَسْمَعُوا۟﴾ لا تستمعوا لمحمد إذا قرأ عليكم القرآن ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ارفعوا أصواتكم عند قراءته وصيحوا لتشوِّشوا عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ لكي تغلبوه على تلاوته فيسكت، ولا يسمع الناسُ ما يقرأه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰٓؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ آمنوا بالله ثم استقاموا على التوحيد، وثبتوا على ذلك حتى الموت ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة الرحمة عند الاحتضار ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ لا تخافوا ممّا أمامكم، ولا تحزنوا على ما تركتموه في الدنيا فنحن نخلفكم فيها ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ أبشروا بجنة الخلد التي وعدكم بها ربكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَٰٓؤُكُمْ﴾ نحن أعوانكم وأنصاركم في الدنيا والآخرة ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ لكم في الجنة ما تطلبون وتشتهون ﴿نُزُلًا﴾ ضيافة وكرامة من ربكم الرحيم ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ادفع السيئة بالخصلة الحميدة، كمقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فإذا فعلت ذلك، صار العدوُّ كالصديق، والبعيد عنك كالقريب ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ وإن وسوس إليك الشيطان بالبطش والعدوان ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ التجئ إلى الله يَكْفِكَ منه، ويردَّ كيده وشرَّه عنك ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ لا يملّون التسبيح، يسبحون الله ليلاً ونهاراً، لأنهم لا ينامون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خلافاً للبشر فقد يعتريهم الملل من العبادة والطاعة.

تنبيه: تنزُّل الملائكة على المؤمنين، تكون عند الاحتضار، ونزع الروح منه، يبشّرونهم برحمةٍ من الله ورضوانه، وجنات لهم فيها نعيم مقيم، والنُّزُلُ: الضيافةُ والكرامة، أي هذه ضيافتكم وكرامتكم، من ربكم الرحيم، فأيُّ نعيم بعد هذا النعيم؟ هذا جزاء من آمن واستقام، سأل رجلٌ رسولَ الله عن نصيحة جامعة فقال له: «**قل آمنت بالله ثم استقمْ**» رواه مسلم.

سورة فصلت

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿ومن آياته﴾ من الدلائل والبراهين على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ترى الأرض خاشعة﴾ جرداء يابسة لا نبات فيها ولا زرع ﴿اهتزت وربت﴾ فإذا أنزلنا عليها المطر، تحركت بالنبات، وعلت وانتفخت، وأخرجت من جميع أنواع الزروع والثمار ﴿أنبتت من كل زوج﴾ فالإله الذي أحيا الأرض الميتة، هو الذي يحيي الموتى ويبعثهم من القبور ﴿يلحدون﴾ يطعنون في آياتنا المنزلة، ويميلون بها عن الحق، إلى الأهواء والشهوات ﴿لا يخفون علينا﴾ لا يخفى أمرهم علينا، فنحن نعلمهم ونجازيهم بما يعملون ﴿اعملوا ما شئتم﴾ وعيد وتهديد، أي افعلوا ما تشاءون فالحساب أمامكم ﴿كفروا بالذكر﴾ كذبوا بالقرآن ﴿لكتاب عزيز﴾ منيع الجانب أن يُعارض ﴿من حكيم حميد﴾ منزّل من إله حكيم في تشريعه، محمود في السموات والأرض ﴿قرآنا أعجميا﴾ لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم ﴿فصلت آياته﴾ لقال المشركون: هلّا نزل بلغتنا، فنحن عرب لا نفهم لغة العجم!! ﴿ءاعجمي وعربي﴾ أكلام أعجمي ورسول عربي؟ ﴿وقر﴾ صمم عن سماعه وتدبر معانيه ﴿وهو عليهم عمى﴾ عميت قلوبهم عن فهمه ﴿مكان بعيد﴾ وهؤلاء كمن ينادي من مكان بعيد، فإنه لا يسمع ولا يفهم.

صوّر القرآن الكريم الأرض اليابسة الجرداء، بصورةٍ بيانيةٍ رائعة، صورة الرجل البائس المسكين، الذي جلس على قارعة الطريق، يستجدي إحسان المحسنين، وتأمل لفظ (الخشوع) و (الاهتزاز) للأرض الجرداء، كيف تصبح وكأنها عروسٌ فاتنة، تزينت بأبهى حلل الزينة، وهي تختال عُجباً!!

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علمُ القيامة ووقتُ مجيئها لا يعلمه إلا الله سبحانه ﴿أَكْمَامِهَا﴾ غلافها ووعاؤها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ لا تحمل أنثى جنيناً، ولا تلده إلا ويعلمه رب العزة والجلال ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أين هم الآلهة الذين زعمتم أنهم شركائي؟ ادعوهم ليشفعوا لكم؟ ﴿آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك يا ربنا بالحقيقة، ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكاً!! ﴿مِن مَّحِيصٍ﴾ أيقنوا أن لا مهرب لهم ولا مخلص من العذاب ﴿مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ﴾ لا يملُّ الإنسان من دعاء الخير لنفسه، من مالٍ وصحة وجاه ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾ وإن أصابه الفقر والمرض والبلاء، يئس وقنط من رحمة الله ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن شكر ربه، وترفّع عن طاعته وعبادته ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ وإن أصابه البلاء والمكروه، تضرَّع إلى الله واستغاث به، فهو عند النعمة جاحد، وعند البلاء ضارع ﴿فِى الْآفَاقِ﴾ في أقطار السموات والأرض ﴿فِى أَنفُسِهِمْ﴾ في عجائب قدرة الله في خلقهم وتكوينهم ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ حتى يتحققوا أن القرآن هو الحق المنزل من عند الله ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ في شك من البعث والحساب والجزاء ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أحاط علمه بجميع الأشياء وسيجازيهم على كفرهم واستهزائهم... ختمت السورة الكريمة بكشف الله للبشر، عن بعض أسرار هذا الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ﴾ فمن كان يخطر على باله، أن البشر سيصلون إلى القمر؟ ومن كان يصدّق أن يرى من هو في المشرق أهلَ المغرب؟ ومن كان يتصور أن يطير بين السماء والأرض، وأن يدور حول الكرة الأرضية؟ ويتناول طعام الغذاء في أجواء السماء!؟